

القصيدة النبطية

هوية وطنية وخران للقيم وملاحم الجمال

تحقيق - محمد عبد السميع

ويؤكد ضيوفنا في هذا التحقيق، وهم ينقلون لنا ماضي القصيدة النبطية ومستقبلها في بلادهم، أن الشعر النبطي له شروطه الفنية وتقنياته الإبداعية، وأنه ظلّ، وسيظلّ مهما واجه من تحديات، حافظاً أميناً للهجة العرب المتنوعة والمتكاملة، وكذلك دالاً على فترات من تاريخنا لا يمكن إغفالها، مثلما هو وسيلة ملحة للمحمول النفسي العربي أمام مآسي الإنسان وأحواله وما يهدد البشرية والعالم من أخطار. وقد وصفوا عصر القصيدة النبطية الأول بالعصر الذهبي، عصر الحلم الجميل، وأن أنواعه الكثيرة والرائقة في وطننا العربي كفيلة بأن تأخذنا في دراسات لا تنتهي في تشاركتنا جميعاً في مسميات الشعر النبطي المتعددة تبعاً للبيئة التي ازدهر فيها، فضلاً عن حضور الشعر في الأعمال الدرامية والغناء للإنسانية والأوطان. ولقد كنّا مع ضيوفنا في هذه اللقاءات أمام آمنيات باستعادة الماضي النبطي، وتأكيد لهذا الخزان الذي لا ينضب من القيم النبيلة ورموز الجمال، وهو ما يستلزم من الباحثين أن يشدّوا الهمة ويعقدوا العزم على المزيد من البحث والأرشفة الإبداعية لفضاء القصيدة النبطية التي امتازت بموسيقاها وقافيتها ورونق رويها، وتنوع أساليبها عربياً، باختصار لأنّ الشعر النبطي وُلد من تفاصيل ويوميات وفضاءات عاشها أهلنا الطيبون وأورثونا إياها، فباتت هذه التفاصيل لسان حالنا الذي به نعبر أمام الحدث الجسيم المؤلم والحدث السهل الداعي للفرح... ومن هذا كلّه نحن أمام شيء من تأكيد الشعر النبطي والتعامل معه على أنّه وُلد بين الناس وسيظلّ صديقاً لهم على الدوام. وقد كانت محاور هذا الاستطلاع تتنوع بين أصالة الشعر النبطي، وشرط الإبداع، ومدى حاجتنا إليه، وكيف يمكن لشباب اليوم أن يتعاملوا معه، أسوةً بشباب الأمس الذين هم الآن من جيل الرواد الذين كانوا نشأوا عليه وفهموا جماله ومعناه ومبناه، وكان صديقاً حقيقياً في يومياتهم ومجالسهم وديوانياتهم بين الأمس واليوم.

إضافة لمعجم الشعر

تري الأكاديمية والناقدة البحرينية الدكتورة رقيقة بن رجب أنّ عصر القصيدة النبطية؛ باعتباره عصر الحلم الجميل، لم ينته، فهو أصل الكلمة التي ستظل مستمرة باستمرار الحياة، والتي لن تنهشم بفعل

يفرض الشعر النبطي نفسه في المنطقة العربية، حاملاً لتفاصيل إنسانية ووطنية وقومية أيضاً، شأنه في ذلك شأن الشعر الفصيح... وقد شرعنته حياة الناس وتعابيرهم، فلم يزهّدوا به بالرغم من كلّ هذا التطور الحاصل، وبالرغم من إدراكهم لضرورة اللغة الفصيحة واستخدامها رسمياً، إلا أنّهم ما يزالون يرونه وسيطاً جميلاً وفناً إبداعياً جديراً بالدراسة والوقوف على وعائه اللغوي - اللهجة - لما تنطوي عليه هذه اللهجة من ألفاظ تعود جذورها إلى اللغة الشريفة، لغة القرآن الكريم، وهو ما يستوجب على الدولة بكل مؤسساتها ذات العلاقة أن تعمل على العناية به واستعادة بداياتها معه، وقد كانت الإمارات، ومن خلال حديث نخبة من الشعراء والنقاد والمهتمين والباحثين، في الطليعة من الدول التي احترمت انتشاره الهائل ورحلة رواده معه والقطع الرائعة ذات الشعرية العالية التي صيغت بأنفاس المبدعين، فكان أن عملت على تكريسه من خلال المسابقة الكبيرة، برنامج «شاعر المليون» بأبو ظبي، وكذلك أكاديمية الشعر، والمؤسسات التراثية التي يدخل في عملها الاهتمام بهذا الجنس الأدبي المميز ديوانهم الأول، الشعر.





الجلدي العوني



د. أحمد عقيلي



د. عبدالعزيز المسلم

الشاعر وترحاله من مكان إلى آخر، وطرائف ومحاورات شعرية، ووصف للطبيعة والصيد. كما تتنوع أنماط هذا الشعر الشعبي، إذ نجد الشاشاي، (غناء العمل) والدوباي (شعر مربع) والهوهاي (غناء البنات) والواواي (غناء الصبية، رعاة الإبل) والمساديير وهو دوباي يصف فيه الشاعر ترحاله، وهو على ظهر بعيره، من مكان إلى آخر، وكذلك المناحات، والبنينة (مدح الجدات للأحفاد)، والأمداح الدينية والغناء الحماسي، وغير ذلك من الأنماط.

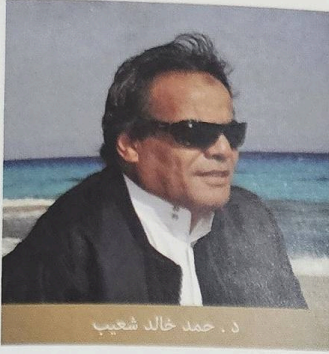
وعلى هذا فالشعر الشعبي السوداني قديم قدم الإنسان في السودان، ولا بدّ من استمرار البحث، كما يؤكد الدكتور الفاتح، الذي يكشف بأنّ البحث التراثي وقف على أقدم مقطعين من الدوباي وهو الشكل الأقرب للشعر النبطي، وذلك في مجارة بين شاعرين سودانيين هما: الشاعر الشعبي عبدالله أب سن، والشاعر الشعبي إبراهيم ود الفراش، في فترة التركية السابقة، (1821 - 1855م)، وكان في حالة نضج فني واضح، يدل على أن جذوره ضاربة في رحم التاريخ القديم. ويعترف الفاتح بأنّ عوامل كثيرة طرأت فتركت

الشعبي والزجل تقول إنّه ظهر في عدوة الأندلس أول الأمر ثم انتقل إلى عدوة المغرب.. وبين العدوتين نشأ وترعرع فن جديد في الكتابة، يسمّى في المغرب الزجل.. وهكذا سُمّي عبر التاريخ، فقد أحبه الناس وسار على الألسن حتى شاع نظمهم وصار ضرباً من ضروب الكتابة الشعرية القائمة بذاتها، فلا بد من الشعر بمعناه الحقيقي في شاعريته وشعريته كذلك.

مسؤولية البحث والنقد

ويذهب الشاعر والناقد الباحث السوداني د. محمد الفاتح أبو عاقلة إلى أهمية التنوع في الشعر النبطي والشعبي، مؤكداً ضرورة استمرار البحث في القصيدة النبطية وترسيخها واحترام مسارها، حتى مع التطور الذي يطرأ على الشعر والتراث ككل، ولذلك فإنّه يتمثل بغنى الشعر النبطي والشعبي السوداني الذي يتميز بموسيقاه العذبة، وألفاظه السلسة، ومواضيعه التي تغطي كل جوانب حياة البادية، من غزل ومناحات، ومشكار، وحماسة ووعظ، ومساديير تصف رحلة

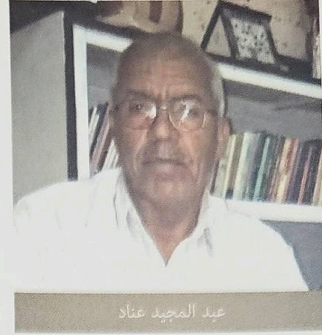




د. أحمد خالد شعيب



د. رقيقة بنت رجب



عبد المجيد عناد

قيمة وسهولة ودلالة هذه اللهجة. من جهة أخرى يقول المسلم إننا معنيون بتأصيل لهجتنا لما بينها وبين لغة الضاد الشريفة من ترابط، كونها ذات جذور تعود إليها، وعلى هذا فإن الأثر اللغوي لبحوثنا ودراساتنا وتحقيقنا للهجة في كل الدولة وبيئاتها ومناطقها المتنوعة، إنما يصب في تعزيز الهوية الثقافية وجذورها التاريخية بما في التاريخ من متعة القراءة الجميلة بين الأجيال.

لسان المجتمع العربي:

ويؤكد الشاعر والباحث الجزائري عبدالمجيد عناد أن الشعر الشعبي أو النبطي أصبح لسان المجتمع العربي؛ لأنه هو الحامل لهمومه وأحلامه والمرآة المعاكسة لتطلعاته المستقبلية، ببساطة لأنه قريب للمتلقي ويلامس مشاكله اليومية، نظراً لاستعماله لغة بسيطة أو كما يسميها اللغة الوسطى، من واقع تجربته في هذا المجال. ويدلل عناد بأن الشعر الشعبي في الجزائر، وفي ولايته خاصة، أصبح له مكانة محترمة، لحضوره تقريباً في جل أعراس المنطقة، إذ أصبحت تقام له سهرات خاصة تحضرها أعداد كبيرة من جميع أطراف المجتمع، وهذا يراه عودةً واحتضاناً للشعر. أما أكاديمياً، علي المستوى الجامعي، فيتفاءل الشاعر عناد بأن عدداً معتبراً من طلاب الأدب العربي كانت رسائل تخرجهم حول الشعر الشعبي وأعلامه. وعن بدايات الشعر، يقول إن جذور «الشعر الملحون» في المغرب العربي يعود إلى منتصف القرن الخامس الهجري، حسب الدكتور محمد المرزوقي، كما أن هناك عدة قصائد تؤرخ لمراحل تاريخية مختلفة. أما المواضيع التي يطرقها الشعر الشعبي فلم يترك الشعراء غرضاً من أغراض الشعر إلا وكتبوا فيه كما هائلاً من القصائد عبر كامل التراب الوطني. وتعد «القصيدة الملحونة» قلماً يؤرخ لكل حال وزمان ويتطور لسانها مع الوقت، وهذا سر نجاحه وتطوره وتقبل المجتمع له.

يلستحق الدراسة النقدية

ويؤكد الأكاديمي السوري د. أحمد العقيلي أن الأصل في القصيدة

أثراً واضحاً في الشعر الشعبي السوداني، تتمثل في ظهور مواضيع العصر ومفرداته، مع مفارقة واضحة لسبك المقطع الشعري، والتجدد في قاموس هذا الشعر، مع تمسك عدد من الشعراء بالصور القديمة وإعادة إنتاجها، في تفاوت ظاهر بين الشعراء. ويبقى الشعر الشعبي السوداني غنياً بموسيقاه الخارجية والداخلية، التي تتسجم مع الجو النفسي للشخصية السودانية، لهذا هو يجتاز المراحل التاريخية، ويشكل حضوراً في الراهن الثقافي السوداني، مما يشير إلى صموده واستمراريته.

حافظ أمين للهجة

ويرى الشاعر ورئيس معهد الشارقة للتراث الدكتور عبدالعزيز المسلم أننا لا يمكن أن نلغي من حسابنا أهمية الشعر النبطي، باعتباره شكلاً من أشكال التراث الثقافي غير المادي، بسبب ثراء محتواه في نقل القيم والملاحم الشعرية والحكايات والسير والحكم والأمثال، فضلاً عن غناه الإبداعي في صوره الجميلة وآفاقه المُنعة.. ولهذا فإن الدول والمنظمات العالمية كاليونسكو تهتم كثيراً بإظهار القيمة التراثية في هذه الوسائط الإبداعية وفي مقدمتها الشعر. ويؤكد الدكتور المسلم أن الشعر النبطي هو حافظ أمين للهجة العربية، خصوصاً حين نتداول هذه اللهجة من خلاله ونسأل عنها وعن مدلولاتها الحقيقية والمجازية، ولهذا فإننا مدعوون إلى قراءة الأثر اللغوي الذي تضيفه اللهجة الإماراتية في جذورها الفصيحة والأصيلة، من خلال الحفريات اللغوية والقراءات اللهجية المتخصصة، وفي هذا السياق يؤكد المسلم أن اللهجة الإماراتية امتازت بكلماتها ذات الخصوصية وظلت ذات تأثير في اللهجات الخليجية، ومع أنه لا يرى بداً من قبول المفردات عبر التواصل التجاري الذي كان يتضمن تواسلاً ثقافياً بطبيعة الحال خلال البحر مثلاً والتعامل الإنساني، إلا أنه يؤكد في المقابل ضرورة الدراسات المستمرة لهذه اللهجة القديمة الممتعة والتميّزة، خاصة وأن الألحان الإماراتية والشعر كذلك شكلاً عاملاً جذب للخليج لكي يغنوا القصيدة النبطية الإماراتية، ولذلك فإن على الأجيال أن تعي